الرِّبَا
مَزَالِقُ وَمَخَاطِر

تأليف الأستاذ/ سعيد بن مطر المسقري

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

الرِّبا.. مَزالِقُ ومَخاطِر

مُقَدِّمَة

لحمدُ للهِ الَّذي أحلّ لنا الطَّيِّبات، وحَرَّم علينا الخبائث، سبحانك ربِّي لا أُحْصِي ثناءً عليك، أنت كما أَثْنَيْتَ على نفسِك، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيّدنا وحبيبِنا رسولِ الله، وآلِه وصحبِه وكلِّ من اتَّبع هُدَاه. أمَّا بعد:

أخي العزيز بالتَّقوى: كُنْ على يقينٍ أنَّ كلَّ شيءٍ حرَّمَهُ اللهُ ﷻ فهذا التَّحريمُ لمصلحتِنا، وليس إهانةً لنا، تعالى الله جَلَّ جلاله، فإنَّ جميعَ المحرَّمَاتِ لها أضرارٌ في الدُّنْيا والآخرةِ إذا لم يَتُبْ صاحِبُ الذَّنْب، لكنَّ المسلمَ الصَّادقَ يَتْرُكُها لأَنَّ اللهَ حرَّمَها لا خَوْفًا مِن الضَّرَر.

إنَّ ربَّنا هو صانِعُ هذا الكونِ، وهو وحدَه المتصرِّفُ فيه، وإنَّ صانِعَ أيِّ صَنْعَةٍ هو أعلمُ بما يُصْلِحُها وما يُفْسِدُها، فحرّم ربُّنا علينا المحرَّمات؛ لِأَنَّها تُفْسِدُ هذا الإنسانَ، فَتْجَعَلُه يعيشُ في الدُّنيا مِثلَ البهيمة لا يَهُمُّه إلَّا الشَّهوات، وفي الآخرةِ عذابٌ شديدٌ دائِم.

إنَّ كلَّ صَنْعَةٍ تَعْمَلُ على مُرَادِ صَانِعِها، يعني أَنَّ كلَّ صنعةٍ صُنِعَتْ لِهَدَفٍ لَا تَنْفَعُ لِغَيْرِه حتَّى فِيمَا صَنَعَه النَّاسُ؛ فالسَّيَّارةُ –مثلًا- صُنِعَتْ لَتَسِيرَ، فَهَلْ تَنْفَعُ لِغَيْرِ ذلك؟ وهَكَذَا فَكِّرْ فِي كلِّ صَنْعَةٍ، تَجِدُها لا تَسْتَقِيمُ إلَّا لِمَا صُنِعَتْ له، وَهَكَذَا الإنْسَانُ إنَّما صَنَعَهُ اللهُ وأَخْبَرَنا أَنَّه صَنَعَهُ لِعِبَادَتِه، وهذه العبادةُ لِسَعادةِ الإنسانِ في الدُّنيا والآخِرةِ، هَذَا يَعْنِي أَنَّ الإنسانَ صُنِعَ للعِبَادةِ، فَإِذَا انْحَرَفَ عنها فَسَد، مِثْلُ السَّيَّارة، هَلْ يُمْكِنُ أَنْ نجعلَها مَطْبَخًا؟ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(٥٦)﴾[1]؛ إنَّك أيُّها الإنسانُ إنَّما خُلِقْتَ للعبادةِ؛ فكُلُّ أَعْمالِكَ اجْعَلْها فِيمَا يُحَقِّقُ العِبَادة، أنتَ إذا اشْتَرَيْتَ أيَّ جِهَازٍ

[1] سورة الذاريات، الآية ٥٦.

فَسَوْفَ تَقْرأُ تَعْلِيماتِ الشَّركةِ الَّتي صَنَعَتْهُ؛ لِكَي تَعرِفَ كَيْفَ يعمل؟ وماذا يُصْلِحُه؟ وماذا يُفْسِدُه؟ هَكَذَا أَنْتَ، صَنَعَكَ اللهُ ﷻ وقَدْ أخْبَرَكَ في القرآنِ المجيدِ وعَلَى لسان رسولِه الكريمِ ﷺ الَّذي يُصْلِحُك؟ وما الَّذي يُفْسِدُك؟ فَإِذَا طَلَبْتَ معرِفَةَ ما يُصْلِحُكَ وما يُفْسِدُكَ مِنْ غَيرِ القُرْآنِ والسُّنَّةِ فقد أَفْسَدْتَ نَفْسَك، وإذا كانت المعاصِي كلُّها لها أَضْرَارٌ خَطِيرَةٌ في الدُّنْيا والآخِرَةِ فَإِنَّ أعظمَها خَطَرًا ما كَانَ حَرْبًا على اللهِ تَعَالَى.

الحَرْبُ عَلَى اللهِ تَعَالَى

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩) ﴾[٢].

يا ابْنَ الإسْلامِ العَزِيز: أَسْأَلُ اللهَ ﷻ أنْ يَزِيدَك إيمَانًا، تَأَمَّل الآيتَيْنِ جَيِّدًا، إنَّها إعْلَانُ حَرْبٍ على المُرَابِين، ومَن

[٢] سورة البقرة، الآيتان ٢٧٨ – ٢٧٩.

الَّذِي أَعْلَنَ الحَرْبَ عَلَيْهِم؟ إِنَّه اللهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ، الْمُتَصرِّفُ في هَذَا الكَوْنِ، فَلَا يتحرَّكُ مُتَحرِّكٌ ولا يَسْكُنُ سَاكِنٌ في أَيِّ مَخْلوقٍ إِلَّا بِإِرَادَتِه ﷻ، إِنَّه يَمْلِكُ السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤَادَ وكُلَّ شَيْءٍ، فَمَنْ يُطِيقُ أَنْ يُحَارِبَه؟ أَتَسْتَطِيعُ أيُّها الإنسانُ الضُّعِيفُ أَنْ تُحَارِبَ رَبَّك؟ أَنْتَ تُؤْذِيكَ حتَّى البَعُوضَةُ، فَكَيْفَ تُحَارِبُ الخَالِق؟

صَحِيح، أَنْتَ الآنَ في عَافِية؛ ولِهَذَا لا تُبَالِي ولا يَهُمُّكَ الحَرْبُ على اللهِ ﷻ، ولَكِنْ قَلْ لِي كَيْفَ تَكُونُ حِينَ تَنَامُ على فِرَاشِ الْمَوْت؟ أَلَا تَنْدَم؟ وَلكِن لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ ذَلِكَ الوقت، فَسَارِع الآنَ إِلَى التَّوْبَةِ الصَّادِقَة، أَسْأَلُ اللهَ لِي ولَكَ التوفيق، إِنَّ الْمُرَابِي يُحَارِبُ اللهَ ﷻ بِالرِّبَا، واللهُ ﷻ يُحَارِبُهُ بِالْمَصَائِب، وَهُوَ لا يَشْعُرُ أَنَّ هَذِهِ الْمَصَائِبَ عُقُوبَةٌ مِن اللهِ ﷻ على الذُّنُوبِ، إِلَّا مَا يُصِيبُ الأَنْبِيَاءَ والصَّالِحِين، فَهُوَ لِرَفْعِ دَرَجَاتِهِم في الآخِرَة.

وقَدْ يقُولُ بعضُهُم: أَنَا آكُلُ الرِّبَا مُنْذُ سِنِينَ ومَا أَصَابَنِي شَيْءٌ، فالجوابُ هو أَنَّ اللهَ ﷻ يُمْهِلُ الْمُذْنِبَ لعلَّه يتوبُ، قَالَ اللهُ ﷻ ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥)﴾[٣]، فَعَلَيْنا

[٣] سورة القلم، الآية ٤٥.

–نَحنُ العصاةُ- أَنْ لا نَظُنَّ أَنَّ كَثرةَ النِّعَمِ مِن اللهِ ﷻ هي علامةُ الرِّضَا مِن اللهِ ﷻ عنَّا، وعَلَيْنا أَنْ نُوقِنَ أَنَّ عقوباتِ الذُّنُوبِ -وأَخْطَرُهَا الحربُ عَلَى اللهِ تَعَالَى- آتِيَةٌ لَا مَحَالَة؛ فَإِنَّ الذُّنوبَ لها ثمراتٌ مُرَّةٌ لا بُدَّ للعَاصِي أَنْ يَأْكُلَها شَاءَ أَمْ أَبَى، ولَيْسَ مِثْلَ ثَمَرِ الشَّجَرِ الْمُرّ، أَنْتَ إِذَا غَرَسْتَ شجَرة، وجَاءَ ثمرُهَا مُرًّا فَإِنَّك تَسْتَطِيعُ أَنْ لَا تَأْكُلَها، وَلَكِنَّ ثَمَرَاتِ الذُّنُوبِ الْمُرَّةَ لا بُدَّ أَنْ تَأْكُلَها؛ فَإِنَّ ثَمَراتِ الذُّنُوبِ هي المصَائِب، فَإِنْ تَابَ الْمُذْنِبُ تَابَ اللهُ عَلَيْه.

أَخِي العَزِيزُ بِالتَّقْوَى: إِذَا تَدَبَّرْتَ القُرْآنَ الْمَجِيدَ فَإِنَّكَ لا تَجِدُ فِيهِ إِعْلَانَ حَرْبٍ عَلَى مُذْنِبٍ إِلَّا صَاحِبَ الرِّبَا، وَهَذَا يَدُلُّكَ على خُطُورَةِ الرِّبَا؛ فَهَيَّا يَا أَخِي تَخَلَّصْ مِن الرِّبَا مَا دُمْتَ فِي عَافِيَة، فَأَنْتَ -يَا مَنْ تَأْكُلُ الرِّبَا- تَذَكَّرْ أَنَّك تُحَارِبُ اللهَ ﷻ، وأَنْتَ -يَا مَنْ تَرْضَى بِالرِّبَا أَوْ تُرَوِّجُ لَهُ أَوْ تَدْخُلُ الْمُؤَسَّسَاتِ الرِّبَوِيّة- اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى؛ فَإِنَّكُمْ تَسِيرُونَ سَيْرًا حَثِيثًا إِلَى الدَّارِ الآخِرَة، وَتَذَكَّرُوا أَنَّ هَذِهِ السَّاعَاتِ الَّتِي تَمُرُّ بِنَا تُقَرِّبُنَا إِلَى الآخِرَة، إِنَّها خُطُواتٌ إِلَى هُنَاك.

إِنَّ السَّائِرَ إِلَى مَكَانٍ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا قَدْ يَصِلُ إِلَى مَقْصِدِه وقَدْ لَا يَصِل، أَمَّا السَّائِرُ إِلَى الآخِرَةِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَصِل. هَلْ

يَسُرُّكَ أَنْ تَجِدَ يومَ القِيَامَةِ اسْمَكَ فِي سِجِلِّ الْمُحَارِبِينَ للهِ ﷻ؟ كَمْ مَضَى قَبْلَنا مِنْ أُنَاسٍ كَانُوا يُحَارِبُونَ اللهَ ﷻ طُولَ حَيَاتِهِم ويَسْخَرُونَ مِن النَّاصِح، ولَكِنْ أَيْنَ هُم الآن؟ إِنَّهُم تَحْتَ التُّرَاب، أَنْزَلَهُم فِيهِ الأَحْبَاب، يَتَمَنَّوْنَ أَنْ يَعُودُوا إِلَى الدُّنْيا لِيَعْمَلُوا عَمَلًا صَالِحًا، ولَكِنْ هَيْهَات، مَضَت الحيَاةُ وَهُمْ فِي غَفْلَة، فَاحْذَرْ مِنْ ذَلِكَ المصِيرِ المجْهُول، فَأَنْتَ الآنَ فِي عَافِيَة، أَسْأَلُ اللهَ ﷻ أَنْ يُدِيمَها فِي طَاعَتِه.

سَلَامٌ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ الدَّوَارِسِ

كَأَنَّهُمُ لَمْ يَجْلِسُـــوا فِي الْمَجَالِسِ

وَلَمْ يَشْرَبُوا مِنْ بَارِدِ الْمَاءِ شَرْبَةً

وَلَمْ يَأْكُلُوا مِنْ خَيْرِ رَطْبٍ وَيَابِسِ

أَلَا خَبِّرُونِي أَيْنَ قَبْرُ ذَلِيلِكُمْ

وَقَبْرُ الْعَزِيزِ الْبَاذِخِ الْمُتَنَافِسِ[٤]

[٤] ديوان الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ص١١٣.

تَوقِيتُ العُقوبَة

قَدْ يقُولُ قَائِل: إنَّ النَّاسَ – في جَمِيعِ الأرْضِ الْمَعْمُورَة- مَضَى عليهم عَشَرَات أو مِئَاتُ السِّنينَ وهُمْ يُحَارِبُونَ اللهَ ﷻ بِالرِّبَا ومَا أَصَابَهم شَيء، فَالْجَوَابُ هو أَنَّ اللهَ ﷻ جَعَلَ العُقُوبَاتِ لها وَقتٌ محدَّدٌ هو يَعْلمُه، قَالَ اللهُ ﷻ : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا(٥٩) ﴾[٥]، فَالعُقُوبَةُ لها مَوْعِدٌ مَعلومٌ عِندَ اللهِ ﷻ فَقَط.

وقَدْ يقُولُ قَائِل: رَأَيْنَا كَثِيرًا مِن النَّاسِ غَارِقِينَ في الْمَعاصِي، واللهُ ﷻ يَصُبُّ عَلَيْهِم النِّعَمَ صَبًّا، والجَوَاب: هَذَا هُوَ الاسْتِدْرَاج، قَالَ اللهُ ﷻ : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤)﴾[٦]، وهَذِهِ لَيْسَتْ نِعَمًا، بَلْ هِي نِقَم، فزِيَادَةُ النِّعَمِ للعَاصِي اسْتِدْرَاجٌ وَإِنْ كَانَ العَاصِي يَرَاهَا إِكْرَامًا، نَعَمْ، الْمَعَاصِي لها عُقُوبَاتٌ فِي الدُّنْيَا والآخِرَة إِنْ لَمْ يَتُب العَبْد، ولَكِنْ مَنْ يُحَارِبُ اللهَ ﷻ لَيْسَتْ عُقُوبَتُه كَغَيْرِه.

---

[٥] سورة الكهف، الآية ٥٩.

[٦] سورة القلم، الآية ٤٤.

كَمَا أَنَّ العُقُوباتِ قَدْ لَا تَكُونُ بَيِّنَةً ظَاهِرَة؛ إِذْ تَجِدُ الشَّخْصَ ظَاهِرُهُ مُرْتَاحٌ وسَعِيد، ولَكِنَّهُ في الحَقِيقَةِ يَعِيشُ كَرْبًا وضِيقًا نَفْسِيًّا، ولَا يَجِدُ للسَّعَادَةِ –بَلْ للحَيَاةِ– مَعْنًى ولَا طَعْمًا، ويَتَأَلَّمُ لِأَبْسَطِ الأَسْبَاب، ويُصِيبُه الغَمُّ والْهَمُّ والقَلَقُ لأَتْفَهِ الْمَوَاقِفِ والأَحْدَاث، إِضَافَةً إلى مَا يُكَابِدُه مِنْ قِلَّةِ الْبَرَكَةِ فيما تَرَاه مِنْ نِعَمٍ تُحِيطُ بِه، ومَا يَعِيشُهُ مِنْ قِلَّةِ القَنَاعَة، وَمَا يَجِدُهُ مِنْ رَغْبَةٍ لَا تَنْتَهِي في الْمَزِيدِ، كَمَنْ يَشْرَبُ مِنْ مَاءِ البَحْرِ ولَا يَرْتَوِي، ويَكْفِيهِ عُقُوبَةً لَه حِرْمَانُهُ مِن الخَيْرَاتِ والطَّاعَات، فَكَفَى بِذَلِكَ خِذْلَانًا.

أَخِي، لَا تَظُنَّ أَنَّ الَّذِي يَأْكُلُ الرِّبَا هو الْمُعاقَبُ فَقَط، بَلْ كُلُّ مَنْ شَارَكَ فِي إِنْجَاحِ الرِّبَا تَشْمَلُهُ العُقُوبَةُ الرَّبَّانِيَّةُ، فَتَنَبَّهْ!

وَاللهِ لَوْ عَاشَ الْفَتَى مِنْ دَهْرِهِ

أَلْفًا مِنَ الْأَعْوَامِ مَالِكَ أَمْرِهِ

مُتَلَذِّذًا فِيهِ بِكُـــــــلِّ هَنِيئَةٍ

وَمُبَلَّغًا كُلَّ الْمُنَى مِنْ دَهْـــرِهِ

لَا يَعْرِفُ الْآلَامَ فِيهَا مَـــــــرَّةً

كَلَّا وَلَا جَرَتِ الْهُمُـومُ بِفِكْرِهِ

مَا كَانَ ذَاكَ يُفِيدُهُ مِنْ عُظْمِ مَا

يَلْقَى بِأَوَّلِ لَيْـــــلَةٍ فِي قَبْرِهِ

لِمَاذَا الصُّرَاخ؟

حِينَ ظَهَر وَبَاءُ كُورُونَا وَعَمَّ جَمِيعَ العَالَم، صَارَ النَّاسُ فِي قَلَقٍ ورُعْب، وصَارُوا يَبْحَثُونَ عَن العِلَاجِ المادِّيِّ الَّذِي يَدْفَعُ عَنْهُم هَذَا الوَبَاء، لَا بَأْس، فَالأَسْبَابُ المادِّيَّةُ قَد أَمَرَ بها الإسلامُ، ولَكِنْ لا بُدَّ مِن التَّضَرُّعِ واللُّجُوءِ إلى اللهِ ﷻ، والبَحْثِ عَن الأَسْبَابِ، فَبِزَوَالِ السَّبَبِ يَزُولُ الْمُسَبَّب، فَقَدْ يكُونُ السَّبَبُ هي ذُنُوبَنَا، وأَعْظَمُها الحربُ علَى اللهِ ﷻ (الرِّبَا)، أَلَا تَرَى أَنَّ هَذَا الوَبَاءَ قَدْ عَمَّ العَالَمَ؟ وكَذَلِكَ الرِّبَا قَدْ عَمَّ العالَمَ كُلَّه، وَكَأَنَّ الوَبَاءَ جَاءَ عُقُوبَةً عَلَى الرِّبَا، وَحِينَ فَرِحُوا بِأَنْ وَجَدُوا لَهُ عِلَاجًا قَالُوا: سَوْفَ نَهْزِمُ هَذَا الوَبَاءَ. وَكَيْفَ لِلْمَخْلُوقِ الضَّعِيفِ أَنْ يَهْزِمَ قَدَرَ اللهِ

الغَالِب؟ اقْرَأ التَّأْرِيخَ، هَلْ تَجِدُ أُمَّةً حَلَّتْ عَلَيْهَا عُقُوبَةُ اللهِ ﷻ فَهَزَمَتْ قَدَرَ اللهِ تَعَالَى؟ سُبْحَانَ رَبِّي الَّذِي لا حُدُودَ لِقُدْرَتِه!

أَخِي، لَعَلَّكَ تَذْكُرُ حِينَ فَرِحَ النَّاسُ بِاللِّقَاح، تَحَوَّرَ هَذا الفَيْرُوسُ إِلى أَنْوَاعٍ أَخْطَر، وَفِي نَفْسِ التَّارِيخ! فَمَنْ تُحَارِبُ أَيُّهَا الْمِسْكِين؟ أَتُرِيدُ أَنْ تَسْتَمِرَّ فِي الحرْبِ عَلَى الله؟ إِنَّكَ لَمْ وَلَنْ تَنْتَصِر، مُسْتَحِيل، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تُلْقِيَ السِّلَاح، وتُسَلِّمَ نَفْسَكَ إِلَى أَرْحَمِ الرَّاحِمِين؛ فَإِنَّ الخالِقَ العَظِيمَ مَا حَرَّمَ عَلَيْك الرِّبَا إِلَّا لِمَصْلَحَتِك ومَصْلَحَةِ الأُمَّة.

إِنَّ الرِّبَا يَجْعَلُ الأَمْوَالَ فِي أَيْدِي قِلَّةٍ قَلِيلَةٍ مِن النَّاسِ، وبَقِيَّةُ النَّاسِ أَكْثَرُهُم فُقَرَاءُ، أَصْحَابُ الْمَلَايين يَزْدَادُونَ أَمْوَالًا، والفُقَرَاءُ يَزْدَادُونَ فَقْرًا، أَخِي، أَرَى نُورَ الإِيمَانِ يَشُعُ مِنْ قَلْبِك، وَهَذَا الَّذِي دَفَعَنِي إِلَى عِتَابِك.

يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَان

قَالَ اللهُ –تَعَالَى-: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥ ﴾[٧] هَذَا تَشْبِيهٌ يُشَبِّهُ اللهُ -تَعَالَى- أَصْحَابَ الرِّبَا عِنْدَ قِيَامِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ بِمَنْ هُو مَصْرُوعٌ قَدْ صَرَعَهُ الشَّيْطَان، فَهُوَ مُضْطَرِبٌ فِي حَرَكَاتِهِ مِثْلَ الْمَصْرُوع، وَالآيَةُ دَلِيلٌ عَلَى مَا يُحْدِثُهُ الرَّأْسماليُّ الرِّبَوِيُّ فِي العَالَمِ الْمُعَاصِر مِنْ هَزَّاتٍ وقَلَقٍ واضْطِرَابٍ وخَوْفٍ وأَمْرَاضٍ عَصَبِيَّةٍ وَنَفْسِيَّة.[٨]

هَذَا حَالُ الْمُرَابِينَ عِنْدَ قِيَامِهِمْ مِنْ قُبُورِهِم، وهَذَا لا يُسَاوِي شَيْئًا مَعَ خُلُودِهِمْ فِي النَّار، إِنَّ كُلَّ اللَّذَّاتِ والشَّهَوَاتِ والأَفْرَاحِ الَّتِي عَاشُوهَا فِي الدُّنْيا ذَهَبَتْ وَكَأَنَّها أَحْلَام، قَدْ يَعِيشُ الوَاحِدُ مِئَةَ سَنَةٍ يُحَارِبُ اللهَ ﷻ

---

[٧] سورة البقرة، الآية ٢٧٥.

[٨] الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز، ج١ ص١٧٢ -١٧٣، وهو تفسير رائع للقرآن للشيخ إبراهيم الصوافي أنصح به كثيرا.

بِالْمَعَاصِي، وَلَكِنْ أَيْنَ تِلْكَ اللَّذَّاتُ حِينَ يَنَامُ عَلَى فِرَاشِ الْمَوْت؟ فَاقِدُ الحِيلَةِ حَتَّى عَنْ شَرْبَةِ مَاء، وأَهْلُهُ حَوْلَه لَا حَوْلَ لَهُمْ ولَا قُوَّة، يُرِيدُونَ مُسَاعَدَتَه وَلَكِنْ لَا يَسْتَطِيعُون؛ فَلَا تَنْسَ ذَلِك اليَوم.

فَعَلَيْنَا أَنَا وَأَنْتَ أَنْ نَبْحَثَ عَن الطَّرِيقِ الَّتِي تُوصِلُنَا إِلَى الرَّاحَةِ الدَّائِمَةِ والسَّعَادَةِ الحقِيقِيَّة، نَرْجُو أَنْ يُقَالَ لَنَا عِنْدَ الموت: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي (٢٩) وَٱدْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)﴾[٩].

وَكَيْفَ تَنَـــــامُ الْعَيْنُ وَهْيَ قَرِيرَةٌ

وَلَمْ تَدْرِ فِي أَيِّ الْمَحَـــلَّيْنِ تَنْزِلُ

الرِّبَا يَمْحَقُهُ اللهُ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦)﴾[١٠]، يُذْهِب اللهُ ﷻ بَرَكَةَ المالِ

---

[٩] سورة الفجر، الآيات ٢٧-٣٠.

[١٠] سورة البقرة، الآية ٢٧٦.

الْمُتَحَصِّلِ عَلَيْه بِالرِّبَا وَخَيْرَه، وإِنْ كَانَ آخِرُه الزِّيَادَة، أَوْ يَعْنِي إِتْلَافَ المالِ نَفْسَه.[١١]

فَيَا صَاحِبَ الرِّبَا: مَاذَا تَرْجُو مِنْ مَالٍ تُحَارِبُ بِه اللهَ حَرْبًا خَاسِرَة، وَيَمْحَقُهُ اللهُ تَعَالَى، نَعَمْ، أَنْتَ تَرَاهُ يَزِيد، ولَكِنَّ الخَالِقَ أَخْبَرَكَ أَنَّه يَمْحَقُه، كَيْفَ يَمْحَقُهُ؟ وَمَتَى؟ هَذَا عِلْمُهُ عِنْدَ رَبِّهِ الَّذِي لا يُعْجِزُه شَيْءٌ ولا يَخْفَى عَلَيْه شَيْء.

أَمَّا الْمَحْقُ فَقَدْ أَتَانَا فِيهِ الْخَبَرُ اليَقِين، لا تَقُلْ أَنَا تَعَامَلْتُ بِالرِّبَا ولم أَرَ مَحْقًا، فَإِنَّ العُقُوبَةَ مِنَ اللهِ ﷻ قَدْ تَأْتِي مُعَجَّلَة، وَقَدْ تَأْتِي بَعْدَ عَشَرَاتِ السِّنِين، وَلَوْ لَمْ يُعَاقَب الْمُرَابِي فِي الدُّنْيا، أَلَا يَكْفِيهِ الْخُلُودُ فِي النَّارِ إِذَا لَمْ يَتُبْ مَا دَامَ حَيًّا؟ أَخِي الْمُرَابِي: أَنْتَ بِهَذَا الْعَمَلِ تَقْتَرِبُ مِنْ أَعْدَائِكَ شَيَاطِينِ الْجِنِّ والإِنْس، وتَبْتَعِدُ عَن الْمُنْعِمِ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكَ بِكُلِّ مَا تَحْتَاجُه، إِنَّهُ اللهُ تَعَالَى. أَخِي، أَنْتَ جِئْتَ إِلَى هَذِهِ الدُّنْيَا بَاكِيًا فَحَاوِلْ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا ضَاحِكًا

[١١] الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز، ج١، ص١٧٣.

أَنْتَ الَّذِي وَلَدَتْكَ أُمُّكَ بَاكِيًا

وَالنَّاسُ حَوْلَكَ يَضْحَكُونَ سُرُورَا

فَاعْمَلْ لِيَوْمٍ أَنْ تَكُونَ إِذَا بَكَوْا

فِي يَوْمِ مَوْتِكَ ضَـــاحِكًا مَسْرُورَا

وَاحْذَرْ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيا بَاكِيًا كَمَا جِئْتَ بَاكِيًا، أَخِي، كُلُّنَا أَصْـحَابُ ذُنُوبٍ، أَنَا وَأَنْتَ وَغَيْرُنَا، وَلَكِنَّ بَابَ التَّوْبَةِ مَفْتُوح، فَعَلَيْنَا أَنْ نَدْخُلَ قَبْلَ أَنْ يُغْلَق، ارْجِعْ إِلَى رَبِّكْ وَلَا تَيْأَسْ، فَحَتَّى مَنْ يُحَارِبُ اللهَ بِالرِّبَا فَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُهُ مَتَى مَا تَابَ تَوْبَةً صَادِقَة.

كِلُ الرِّبَا مَلْعُون

عَن ابْنِ مَسعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَال: "لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا وَمُؤْكِلَه"[١٢]، يُفِيدُنا هذَا الحدِيثُ أَنَّ كُلَّ مَنْ

[١٢] رواه مسلم، وزاد الترمذي وغيرُه: وشَاهِدَيْهِ وَكَاتِبَه.

شَارَكَ فِي إِنْجَاحِ الرِّبَا فهُو مَلْعونٌ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَيَا أَيُّها الْمُرَابي: ارْحَمْ نَفْسَك فإِنَّكَ لا تُطِيق لَعْنةَ الله، وتَذَكَّرْ -يَا أَخِي- أَنَّ بَابَ التَّوْبَة مَفْتــوح؛ فَسَارِعْ إليهِ قَبْلَ فَوَاتِ الأَوَان، قَبْلَ أَنْ تقـــول: ﴿ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾ [١٣]، قَبْلَ يَومِ القِيَامَة ﴿ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦﴾ [١٤]. أَخِي: وَاللهِ وَالله، لَوْ عِشْتَ عَلَى التَّمْرِ والماءِ طُولَ حَيَاتِك ونَجْوَتَ مِن العَذَابِ يَومَ القِيَامَة لَكَانَ خَيْرًا لَك، وهَذَا هُو الفَوْزُ العَظِيم.

والنَّاسُ يَومَ القِيَامَةِ قِسْمَان: قِسْمٌ يَأْتي آمِنًا، تَتَلَقَّاهُ الملائِكَةُ بِالبُشْرَى ويُسَلِّمُونَ عَلَيْه، وتَتَلَقَّاهُ زَوْجَاتُه مِن الْحُورِ الْعِينِ، وقِسْمٌ مِن النَّاسِ تَتَلَقَّاهُ مَلائكَةُ العَذَاب، وأَنْتَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تختارَ لِنفْسِك مَا دُمْتَ في هَذِهِ الدُّنْيا،

---

[١٣] سورة الفجر، الآية ٢٤.

[١٤] سورة عبس، الآيات ٣٤-٣٦.

فَكُنْ مَعَ الفَائِزِين؛ فَعَمَّا قَرِيبٍ سَوفَ نَرْحلُ مِن هذه الدُّنْيا كَمَا رَحَل غيرُنا.

وَهُنَاكَ فِي الجنَّةِ الحياةُ الحقيقيَّةُ، لا مَوتَ فيها، ولا خُرُوجَ مِن الجنَّة، ولا شَيْبَ ولا مَرَض ولا مَشَاكِلَ ولا أَحْقَادَ ولا حَسَد، أَنْتَ فِي الجنَّةِ تَعِيشُ فِي قُصُورٍ تَجْرِي مِن تَحْتِها الأنهارُ، ولَيْسَ المجارِي، إِنَّكَ تَجِدُ فِي الجنَّةِ كُلَّ مَا تَشْتَهِي وتُرِيد، ولا تحتاجُ إِلَى إِخْرَاجِ الفَضَلَاتِ مِن بَطْنِك، إِنَّ صَاحِبَ الجنَّةِ وهُو فِي قَبْرِه لَوْ أَحْيَاهُ اللهُ تَعَالَى وقِيلَ لَهُ خُذ الدُّنْيا كُلَّها لَك، تَعِيشُ فِيهَا أَلْفَ سَنَة، ولَكِنْ لَيْسَ مَضْمُونًا بَعْدَها أَنْ تَذْهَبَ إِلى الجنَّة، هَلْ يُوافِق؟ إِذَا كَانَ لا يُوافِقُ فَإِنَّ ذَلك القَبرَ خَيرٌ مِن الدُّنيا ومَا فِيهَا.

بَيْنَ الْأَغْنِيَاء

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْۚ﴾[١٥]، وَهَذا التَّقْسِيمُ للفَيْءِ الحِكْمَةُ مِنْه أَلَّا يكونَ المالُ مُتداوَلًا بينَ الأغْنِيَاءِ فَقَط، يَنْتَفِعُونَ بِه، ولا يَنَالُ الفُقَرَاءَ

[١٥] سورة الحشر، الآية ٧.

والضُّعَفَاءَ منه شَيْءٌ.[١٦] هَذَا يَعْنِي أَنَّ المالَ –إِذَا كَانَ مُتَدَاوَلًا بينَ الأغنياءِ فَقَط- فَسُوفَ يَتَكَدَّسُ مَعَ الأَغْنِيَاء، ويُحْرَمُ مِنْهُ الفُقَرَاء، وهَذَا الفَرْقُ الكَبِيرُ بَينَ الأفْرَادِ هُو الَّذِي يُسَبِّبُ فَسَادَ الأَخْلَاق، ويُسَبِّبُ العُنْفَ والحَسَدَ والأَحْقَاد، ويُسَبِّبُ مَا يُسَمَّى "الإِرْهَاب"، ويُسَبِّبُ الْمَشَاكِلَ وعَدَمَ الأَمْنِ في المجْتَمَع.

تَخَيَّلْ فَقِيرًا لا يَجِدُ مَا يَحْتَاجُهُ مِنْ ضَرُورِيَّاتِ الحيَاةِ، ويَرَى أُنَاسًا يَمْلِكُونَ الملايين، أَلَا يَبْعَثُ هَذَا في نَفْسِ الفَقِيرِ الكَرَاهِيَةَ والبُغْضَ؟! وإِلَى مَتَى يَصْبِرُ الفُقَرَاء؟ وأَنْتَ تَرَى هَذِهِ الحرُوبَ الطَّاحِنَةَ في بِلَادِ المسْلِمِين، ولَوْ بَحَثْتَ عَن الأَسْبَابِ لَوَجَدْتَ أَنَّ أَكْبَرَ سَبَبٍ لهذِهِ المشَاكِلِ هُوَ تَكَدُّسُ الثَّرَواتِ في أَيْدِي قِلَّةٍ قَلِيلَةٍ مِن النَّاس، والملايين مَحْرُومُون، يُعَانُونَ الأَمَرَّيْن.

والسَّبَبُ الثَّاني للمَشَاكِلِ وعَدَمِ الأَمْنِ هو تَرْكُ العَدْلْ بَينَ النَّاس، فَلَيْسَ سَهْلًا عَلَى الفَقِيرِ وهُو ذُو كَفَاءَةٍ أَنْ يَرَى غَيْرَهُ يُقَدَّمُ عَلَيْهِ في الوَظَائِف وهُو أَقَلُّ كَفَاءَةً منه، ولَوْ

[١٦] الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز، الشيخ إبراهيم الصوافي، ج٤ ص٤٦٠.

ذَهَبَ هذا الفَقِيرُ يَحْتَجُّ كَانْت الْمُبَرِّرَاتُ جَاهِزَة، ويَرْجِعُ المسكِينُ بِخُفَيْ حُنَيْن، أَلَيْسَ هَذَا هُوَ الَّذِي يُدَمِّرُ الأُمَمَ والشُّعُوب؟ واللهُ ﷻ سَمَّى العَدْلَ مِيزَانًا، تَأَمَّلْ هَذِهِ العِبَارَة "مِيزَانًا" قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ (٩)﴾[١٧]، فَإِذَا رَجَحَ الميزَانُ سَبَّبَ مَشَاكِل، سَوَاءٌ كَانَ مِيزَانًا حِسِّيًّا أَوْ مَعْنَوِيًّا.

مِنْ مَفَاسِدِ الرِّبَا

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ(٢٧٩) ﴾[١٨]، آيَةُ الرِّبَا هَذِهِ تُومِئُ إِلى مَفْسَدَةٍ مِنْ مَفَاسِدِ الرِّبَا، وَهِيَ الظُّلْمُ الَّذِي يَتَحَقَّقُ بالمعَامَلَةِ الرِّبَوِيَّة،[١٩] هَذِهِ إِحْدَى مَفَاسِدِ الرِّبَا، إِنَّها الظُّلْم، فَإِنَّ المرَابِي يَسْتَغِلُّ حَاجَةَ الفَقِيرِ، وذَاكَ الفَقِيرُ مُحْتَاجٌ،

---

[١٧] سورة الرحمن، الآية ٩.

[١٨] سورة البقرة، الآية ٢٧٩.

[١٩] الوجيز في فقه المعاملات المالية عند الإباضية، الشيخ ماجد الكندي، ص١٤٠.

فَيَقْبَلُ بِالرِّبَا مُضْطَرًّا، وذَاكَ الْمُرَابِي لا يَهُمُّهُ إِلَّا المالُ في جَيْبِه.

وَدَعْوَةُ الْمَظْلُـــــومِ لَا تُرَدُّ
لَوْ كَافِرًا فَهْيَ سِـــهَامٌ تَعْدُو
لَا تَظْلِمَنَّ مَا حَيِيتَ أَحَدَا
لَا بُدَّ أَنْ تَنْـــــدَمَ مِنْهُ أَبَدَا
تَنَامُ مِنْكَ الْعَيْنُ وَالْمَظْلُومُ
يَدْعُو عَلَيْكَ مَا هَـنَاهُ نَوْمُ[٢٠]

أَخِي الْمُرَابِي: هَذِهِ الأَمْوَالُ الَّتِي تَكْنِزُهَا في الْمُؤَسَّسَاتِ الرِّبَوِيَّةِ إِنَّما هِيَ نَارٌ تُحْرِقُ بها نَفْسَك، فَلَوْ فَتَحْتَ بها مَصْنَعًا وشَغَّلْتَ فِيهِ بَعْضَ الفُقَرَاءِ لَكَانَ خَيْرًا لَكَ في الدُّنْيا والآخِرَة، أَمَّا في الدُّنْيَا فَإِنَّ هَذَا الْمَصْنَعَ سَوفَ يَأْتِيكَ مِنْهُ رِزْقٌ حَلَال، بَلْ وَأَكْثَرُ مِن الرِّبَا، وسَوْفَ تَجِدُ هَؤُلاءِ الفُقَرَاءَ يَدْعُونَ لَكَ بالخَيْر، وأَمَّا في الآخِرَةِ فَهُنَالِكَ الثَّوَابُ العَظِيم، وسَوفَ تَخْرُجُ مِن الدُّنْيا نَظِيفًا.

[٢٠] جوهر النظام، الإمام نور الدين السالمي، ج٤ ص٣٦٥.

إِنَّ المالَ الحلالَ –إِذَا أَنْفَقْتَهُ في سَبِيلِ اللهِ تُرِيدُ الثَّوَاب- فَإِنَّهُ سوفَ يُوصِلُكَ إلى الحيَاةِ البَاقِيةِ الخالِدَةِ الَّتِي فِيهَا كُلُّ مَا تَشْتَهِي وَتُرِيد، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ٣٥﴾[٢١].

رِبْحٌ أَمْ خَسَارَة؟

سُئِل الشَّيخُ أَحْمدُ الخليليُّ عَنْ أَرْباحِ البُنُوكِ فَقَالَ: لَيْسَتْ هِيَ أَرْبَاحًا، وَإِنَّما هِيَ عَيْنُ الخسَارَة؛ لِأَنَّ الزِّيَادَةَ هي عَيْنُ الرِّبَا، والرِّبَا مَمْحُوقٌ بِحُكْمِ اللهِ تَعَالَى.[٢٢]

هَذا المسْكِينُ المرَابِي يَظُنُّ أَنَّ مَالَه يَزيدُ، وهُو مُمْحُوقُ البَرَكَةِ بِنَصِّ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى، إِنَّهُ خَاسِرٌ في الدَّارَيْن، خَاسِرٌ لِأَنَّ مَالَه لَيْسَ فِيهِ بَرَكَة، وإِنْ كَانَ يَزِيدُ ظَاهِرًا، وهُو خَاسِرٌ لِأَنَّ مَالَه هذا لا يَنْفَعُه في الآخِرَة، وهُو خَاسِرٌ لِأَنَّه

[٢١] سورة ق، الآية ٣٥.

[٢٢] فتاوى المعاملات، ص١٤٢.

لو أَنْفَقَ هذا المالَ طَلَبًا للثَّوابِ فَهُو غَيْرُ مَقْبولٍ عِنْدَ اللهِ؛ لِأَنَّه مَالٌ حَرَام، حَتَّى لَوْ أَنْفَقَ الملايين.

فَيَا صَاحِبَ الرِّبَا، أَنْتَ الآنَ في عَافِية، فَتُبْ إِلى اللهِ تَعَالَى حَتَّى لا تُفَارِقَكَ هَذِهِ العَافِيَة وإِلى الأَبَد، اجْعَلْ قَلْبَكَ وقَالَبَكَ مَعَ اللهِ تَعَالَى، وَاحْرِصْ في كُلِّ دَقِيقَةٍ أَنْ تَعْمَلَ عَمَلًا صَالِحًا يُقَرِّبُكَ إِلى رِضَاءِ رَبِّكَ وإِلى جَنَّاتِ الخلُود، أَلَيْسَت الحيَاةُ في الجنَّةِ خَيْرٌ مِمَّنْ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ٤٨ ﴾[٢٣].

يَا أَخِي، اجْعَل الهُمُومَ هَمًّا وَاحِدا، اجْعَلْ هَمَّكَ هُو مَا يُقَرِّبُكَ إِلى الله، فَإِنَّ الدُّنْيا مَتَاعُهَا قَلِيل، هَكَذَا أَخْبَرَنَا رَبُّنَا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾[٢٤].

فَيَا ابْنَ الأَرْبَعِينَ سَنَة، مَاذَا بَقِيَ لَكَ مِنْ هَذَا القَلِيل؟ وَيَا ابْنَ السِّتِّين، مَاذَا بَقِيَ لَكَ؟ وَيَا مَنْ جَاوَزْتَ السَّبْعِين، أَرَى رِجْلَيْكَ تَتَدَلَّى في القَبْر وَعَيْنَاكَ شَاخِصَتَانِ إِلى هَذَا الْمَتَاعِ القَلِيل، فَانْتَبِهْ!

---

[٢٣] سورة القمر، الآية ٤٨.

[٢٤] سورة النساء، الآية ٧٧.

لَا يَكْفِي

أَيُّهَا المسْلِمُ الحَرِيصُ عَلَى دِينِه، المُوقِنُ بِأَنَّ الجنَّةَ خَيْرٌ مِن الدُّنْيَا، لَا يَكْفِي أَنَّكَ لَا تَأْكُلُ الرِّبَا، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ تَتْرُكَ التَّعَامُلَ مَعَ المؤسَّسَاتِ الرِّبَوِيَّة -هَذَا إِذَا كُنْتَ تُرِيدُ الحيَاةَ السَّعِيدَةَ الطَّيِّبَةَ يومَ القِيَامَة-؛ فَهُوَ مِنْ بَابِ التَّعَاوُنِ عَلَى الإِثْمِ، واللهُ تَعَالَى يَقُول: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾[٢٥]، تَأَمَّل الآيَةَ جَيِّدًا، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَأْمُرُكَ أَنْ تُعَاوِنَ غَيْرَكَ فِي أَيِّ عَمَلٍ يَنْفُعُكَ يومَ القِيَامَة، وَيَنْهَاكَ عَن التَّعَاوُنِ فِي أَيِّ عَمَلٍ يَجْلِبُ لَكَ الإِثْم، فَانْتَبِهْ!

لَعَلَّكَ أَنْ تُسْقَى الرَّحِيقَ مُرَافِقًا

نَبِيَّ الْهُدَى يَسْعَى عَلَيْكَ بِهَا الْخَدَمْ

فَتُصْبِحَ فِي الْفِرْدَوْسِ بِالْحُورِ مُعْرِسًا

سَلِيمًا مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالسُّقْمِ وَالْأَلَمْ[٢٦]

---

[٢٥] سورة المائدة، الآية ٢.

[٢٦] الدعائم، الشيخ أحمد بن النضر، ص١٩.

مَاذَا تُرِيدُ مِن الرِّبَا؟

أَتُرِيدُ التَّكَاثُرَ بِالأَمْوَال؟ إِنَّكَ لَوْ عَلِمْتَ مَا أَعَدَّ اللهُ تَعَالَى للمُؤْمِنِينَ فِي الجنَّةِ وَمَا أَعَدَّ لِأَهْلِ النَّارِ مَا أَلْهَاكَ التَّكَاثُر.

أَمْ تُرِيدُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُك لِتَعِيشَ عَزِيزًا؟ إِنْ كُنْتَ كَذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ العِزَّةَ لا تَكُونَ إِلَّا بِالتَّقْوَى وَهِيَ أَنْ تَمْتَثِلَ أَوَامِرَ اللهِ تَعَالَى وتَجْتَنِبَ نَوَاهِيَه، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[٢٧]، وَمَنْ أَرَادَ العِزَّةَ بِغَيرِ طَاعَةِ رَبِّهِ فَقَدْ أَخْطَأَ طَرِيقَهَا، وعَلَى قَدْرِ طَاعَتِكَ للهِ تَعَالَى يُعِزُّكَ اللهُ تَعَالَى، وَعَلَى قَدْرِ مَعْصِيةِ العَاصِي يُذِلُّهُ اللهُ تَعَالَى.

أَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ (٢٠)﴾[٢٨]، أَمَّا مَا تَرَى مِنْ ذِلَّةِ المسْلِمِينَ اليَومَ فَمَا هِيَ إِلَّا بِسَبَبِ بُعْدِهِمْ عَن اللهِ وَعِصْيَانِهِمْ، انْظُرْ تَارِيخَ المسْلِمِينَ السَّابِقِين، وَانْظُرْ كَيْفَ أَعَزَّهُمُ اللهُ تَعَالَى، وَكَيْفَ نَصَرَهُمْ، أَمَّا الغُثَاءُ فَلَا يَسْتَحِقُّونَ نَصْرًا، وَإِذَا كَانَ المسْلِمُونَ فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ

---

[٢٧] سورة فاطر، الآية ١٠.

[٢٨] سورة المجادلة، الآية ٢٠.

أَصَابَتْهُمْ هَزِيمَةٌ بِسَبَبِ خَطَإٍ بَسِيطٍ وَهُمْ مَعَ رَسولِ اللهِ ﷺفَكَيْفَ نَنْتَظِرُ النَّصْرَ والعِزَّةَ ونَحْنُ غَارِقُونَ في المعَاصِي؟!

بُشْرى: هَا هِيَ بَشَائِرُ العِزِّ تَعُودُ لِلْمُسْلِمِين، وكَأَنَّهَا بَدَأَتْ مِنْ غَيْرِ العَرَب: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ٣٨﴾[٢٩]، فَإِذَا كَانَ كَثِيرٌ مِن العَرَبِ أَصْبَحوا يَعْتَبِرونَ شَرِيعَةَ اللهِ تَعَالَى رَجْعِيَّةً وَتَأَخُّرًا، فَإِنَّ اللهَ ﷻ سَوفَ يُهَيِّئُ لِهَذَا الدِّينِ رِجَالًا يَعْتَبِرُونَ دِينَ اللهِ تَعَالَى عِزَّةً وَرُقِيًّا -كَمَا هُوَ كَذَلِك- ،وَدَعِ العَرَبَ يَغْرَقُونَ في مُسْتَنْقَعِ الشَّهَوَات، وَيَلْهَثُونَ وَرَاءَ الشَّرْقِ والغَرْب، وَمَنْ أَرَادَ مِن العَرَبِ أَنْ يَأْخُذَ مَوْقِعَهُ في قِيَادَةِ الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ فَهُم الأَجْدَرُ بِذَلِكَ والأَقْوَى مِنْ غَيْرِهِمْ؛ حَيْثُ إِنَّ القُرْآنَ نَزَلَ بِلُغَتِهِمْ.

مِنْ أَضْرَارِ الرِّبَا

كُلُّ المعَاصِي لها أَضْرَارٌ في الدُّنْيا والآخِرَةِ إِذَا لَمْ يَتُبْ صَاحِبُهَا، ولَكِنْ كُلُّ ذَنْبٍ يَكُونُ ضَرَرُهُ عَلَى مِقْدَارِه، فَلَيْسَ

[٢٩] سورة محمد، الآية ٣٨.

مُقَدِّمَاتُ الكَبَائِرِ مِثْلَ الكَبَائِر، وَإِذَا كَانَ الأَمْرُ كَذَلِك، فَإِنَّ الحرَبَ عَلَى اللهِ عُقُوبَتُهَا لَيْسَتْ كَغَيْرِهَا مِن الكَبَائِر، فَمِنْ أَضْرَارِ الرِّبَا:

- أَنَّهُ حَرْبٌ عَلَى اللهِ تَعَالَى، هَلْ تَخَيَّلْتَ مَعْنَى "حَرْب"؟
- أَنَّ آكِلَ الرِّبَا وَكُلَّ مَنْ شَارَكَ فِي إِنْجَاحِهِ كُلُّهُمْ مَلْعُونُون، والملْعُونُ هُوَ المطْرُودُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى.
- أَنَّ الرِّبَا مَمْحُوقٌ لَيْسَ فِيهِ بَرَكَة، والْمَحْقُ قَدْ يَكُونُ بِإِتْلَافِهِ فِي جَائِحَة، وقَدْ يُمْحَقُ فِي عِلَاجِ مَرَضٍ أَوْ حَادِثِ سَيْر، وقَدْ يَكُونُ الْمَحْقُ مُعَجَّلًا وقَدْ يَكُونُ بَعْدَ عَشَرَاتِ السِّنِين؛ فَلَا تَغْتَرَّ إِذَا رَأَيْتَ الْمُرَابِي فِي عَافِيَة، فالْمَحْقُ آتٍ لَا مَحَالَة، فَقَدْ جَاءَ فِي أَصْدَقِ الحَدِيث.
- أَنَّهُ يَفْتَحُ البَطَالَة؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُرَابِينَ لَا يَعْمَلُونَ شَيْئًا، فَهُمْ طَاقَاتٌ مُعَطَّلَة، فَهَذِهِ بَطَالَةٌ مَخْفِيَّةٌ مُقَنَّعَة.

- أَنَّهُ يُنْتِجُ ضَعْفَ الأُمَّة؛ فَإِنَّ الرِّبَا يَجْعَلُ الأَمْوَالَ مُكَدَّسَةً في أَيْدِي قِلَّةٍ قَلِيلَةٍ مِن النَّاس، وأَغْلَبُ النَّاسِ لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا، فَلَوْ أَنَّ الْمُرَابِي أَخْرَجَ هَذِهِ الأَمْوَالَ مِنْ الْمُؤَسَّسَةِ الرِّبَوِيَّةِ وَفَتَحَ بِهَا مَصَانِعَ أَوْ مَزَارِعَ لَنَفَعَ الفُقَرَاءَ وَنَفَعَ نَفْسَهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَقَوِيَت الأُمَّة.

- أَنَّهُ يُورِثُ الحَسَدَ والأَحْقَادَ بَيْنَ النَّاس؛ فَإِنَّ الفَقِيرَ حِينَ يَرَى الغَنِيَّ يَعِيشُ في رَغَدٍ مِن العَيْشِ ولا يُعْطِيهِ شَيْئًا ولا يُشَغِّلُه، فَإِنَّهُ قَدْ يَحْسُدُهُ وَيَحْقِدُ عَلَيْهِ وَيَكْرَهُه، وَهَذَا الَّذِي يُسَبِّبُ مَشَاكِلَ أَمْنِيَّة، وهَذَا الَّذِي دَفَعَ النَّاسَ إلى الشُّيُوعِيَّةِ والإِلْحَاد.

- أَنَّ الْمُرَابِي يَمْشِي في الْخَطِّ الْمُعَاكِسِ للقُرْآنِ العَظِيم، فَإِنَّ القُرْآنَ يَأْمُرُ الغَنِيَّ بِمُسَاعَدَةِ الفَقِير، وهَذَا الْمُرَابِي يَخْنُقُهُ عَنْ طَرِيقِ الرِّبَا، وَيَبْنِي غِنَاهُ عَلَى حِسَابِ الْفَقِير.

- أَنَّ كُلَّ العَامِلِينَ قَدَّمُوا خِدْمَاتٍ لِلأُمَّة، فالصَّانِعُ قَدَّمَ صِنَاعَتَه، والْمُزَارِعُ قَدَّمَ مَحْصُولَهُ الزِّرَاعِيّ، والطَّبِيبُ قَدَّمَ عِلَاجًا لِلْمَرِيض، والْمُعَلِّمُ قَدَّمَ عِلْمًا لِلطَّالِب، أَمَّا الْمُرَابِي فَمَاذَا قَدَّم؟

- أَنَّهُ صَارَ عَامًّا فِي جَمِيعِ الْمَعْمُورَة، إِنَّهُ آفَةٌ اجْتِمَاعِيَّة، وَتَظْهَرُ هَذِهِ الآفَةُ فِي جَشَعِ الْمُرَابِينَ وَاسْتِغْلَالِهِمْ لِلْفُقَرَاءِ مِنْ غَيْرِ رَحْمَة، إِنَّهُ حَرْبٌ عَمَّ جَمْيعَ الدُّنْيَا إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ تَعَالَى.

أَلَيْسَ كُورُونَا عُقُوبَةً قَلِيلَةً فِي مُقَابِلِ هَذِهِ الحَرْبِ الَّتِي مَضَى عَلَيْهَا عَشَرَاتُ أَوْ مِئَاتُ السِّنِين؟ لَقَدْ وَعَدَنَا رَبُّنَا أَنْ يُمْهِلَنَا وَلَا يُعَاجِلَنَا بِالعُقُوبَة، وَلَكِنْ إِلَى مَتَى؟ فَجَاءَنا كُورُونَا وَلَمْ نَرْجِعْ إِلى اللهِ، وَلَيْسَ الرِّبَا فَقَطْ، فَأَنْتَ تَرَى الْمَعَاصِي جَهَارًا نَهَارًا، ولا مُنْكِرَ ولا مُغَيِّر، بَلْ إِنَّ الملايينَ تُصْرَفُ فِي الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لِتَكُونَ عَلَيْهِمْ حَسْرَة، وَهَا هُو كُورُونَا يَتَحَوَّرُ إِلى أَشْكَالٍ أَخْطَر، فَاتَّقُوا اللهَ -يَا عِبَادَ الله- فَإِنَّ الرَّحِيلَ مِن الدُّنْيَا قَرِيب.

- أَنَّهُ يَجْعَلُ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي مُغَامَرَات، فَيَسْتَدِينُونَ مِن المؤسَّسَاتِ الرِّبَوِيَّة، فَيَعْجَزُونَ عَنْ سَدَادِ الدَّيْن، فَهُمْ يَسْتَدِينُونَ حَتَّى لِأُمُورٍ لَا يَحْتَاجُونَهَا؛ لأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ المؤسَّسَاتِ الرِّبَوِيَّةَ سَوفَ تُقْرِضُهُمْ فَلَا يُبَالُونَ فَيَنْدَمُونَ حِينَ يَشْتَدُّ عَلَيْهِم الخِنَاقُ.

- مِنْ أَضْرَارِ الرِّبَا هَذِهِ الأَزَمَاتُ الاقْتِصَادِيَّةُ العَالَمِيَّة، وسَبَبُهَا الدُّيُونُ الَّتِي تَرْكَبُ الشَّرِكَاتِ الضَّعِيفَةَ فَتَعْجَزُ عَنْ سَدَادِ الدُّيُونِ الرِّبَوِيَّة.

- أَنَّ الرِّبَا يُشَجِّعُ عَلَى الإِسْرَاف، فَإِنَّ مَنْ كَانَ يُحِبُ الإِسْرَافَ فَإِنَّهُ لَا يُبَالِي؛ لِأَنَّ المؤسَّسَاتِ الرِّبَوِيَّةَ سَوفَ تُقْرِضُهُ وتَخْنُقُهُ مَتَى أَرَاد، وَهُوَ الضَّحِيَّة.

- أَنَّ الرِّبَا يُورِثُ أَمْرَاضًا نَفْسِيَّةً لآكِلِ الرِّبَا وَمُؤْكِلِه، ويُورِثُ مَرَضَ القَلْب، فَقَدْ قَرَّرَ عَمِيدُ الطِّبِّ البَاطِنِيِّ فِي عَصْرِه، الدُّكْتُورُ عَبْدُ العَزِيزِ

إِسْمَاعِيلُ فِي كِتَابِهِ (الإِسْلَامُ والطِّبُّ الحَدِيث) أَنَّ الرِّبَا هُو السَّبَبُ فِي كَثْرَةِ أَمْرَاضِ القَلْبِ.[٣٠]

- أَنَّ الرِّبَا مُضِرٌّ بِالاقْتِصَاد؛ لأَنَّ الأَمْوَالَ الَّتِي تُشَغِّلُ النَّاسَ قَدْ حُبِسَتْ فِي المؤسَّسَاتِ الرِّبَوِيَّة، وكَانَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ دُولَةً بينَ النَّاسِ جَمِيعًا لا بَينَ الأَغْنِيَاءِ فَقَطْ، فَهِيَ الَّتِي تُحَرِّكُ الأَعْمَالَ بِجَمِيعِ أَصْنَافِهَا.

- مِنْ أَضْرَارِ الرِّبَا التَّفَاوُتُ الطَّبَقِيّ؛ فَالأَصْلُ أَنَّ الأَعْمَالَ تَلِدُ المال، فَيَكُونُ المالُ مُتَدَاوَلًا بَينَ جَمِيعِ النَّاسِ كَمَا شَرَعَهُ اللهُ تَعَالَى، أَمَّا إِذَا صَارَ المالُ مَحْبُوسًا في الْمُؤَسَّسَاتِ الرِّبَوِيَّةِ فَإِنَّ المالَ - حِينَئِذٍ- يَلِدُ المالَ وتَبْقَى الأَعْمَالُ لا تَجِدُ مَنْ يُحَرِّكُهَا، وتَبْقَى الأَمْوَالُ دُولَةً بَينَ الأَغْنِيَاءِ وَيُحْرَمُ مِنْهَا الفُقَرَاء؛ وَهَذَا الَّذِي يُورِثُ الأَحْقَادَ والبُغْض، وهَذَا الَّذِي يُحْدِثُ الثَّوْرَاتِ في العَالَم، وهَذَا الَّذِي حَدَثَ، فَحِينَمَا كَانَت الرأسمالية تَخْنُقُ الفُقَرَاءَ

[٣٠] المال في الإسلام تأليف الدكتور محمود محمد ١٤١

وتَزِيدُهُمْ فَقْرًا اشْتَدَّ الخِنَاقُ عَلَيْهِم فَأَنْتَجَ الشُّيُوعِيَّة، وَمَا هَذَا مِن الظَّالِمِينَ بِبَعِيد، فَلْيَحْذَر الْجَشِعُون!

- أَنَّهُ يَجْعَلُ الأُمَّةَ مُسْتَهْلِكَةً لَا مُنْتِجَة، والْمُسْتَهْلِكُ ضَعِيف، والْمُنْتِجُ قَوِيّ، يُرْوَى أَنَّ سَيِّدَنَا عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْه- كَانَ يَتَفَقَّدُ رَعِيَّتَهُ يَومًا، فَدَخَلَ بَلْدَةً فَوَجَدَ أَنَّ كُلَّ الفَاعِلِيَّاتِ فِي هَذِهِ البَلْدَةِ مِنْ غَيْرِ المسلِمِين، فَعَنَّفَهُم تَعْنِيفًا شَدِيدًا وَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: لَقَدْ سَخَّرَهُم اللهُ لَنَا. فَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْه: كَيْفَ بِكُمْ إِذَا أَصْبَحْتُمْ عَبِيدًا عِنْدَهُم؟! أَيْ إِنَّ الْمُنْتِجَ قَوِيٌّ والْمُسْتَهْلِكَ ضَعِيف. فَإِذَا قَبِلْنَا أَنْ نَضَعَ الأَمْوَالَ فِي مُؤَسَّسَاتٍ رِبَوِيَّةٍ دُونَ أَنْ نَعْمَل، فَسَوفَ نَحْتَاجُ أَنْ نَسْتَوْرِد، والْمُسْتَوْرِدُ ضَعِيفٌ والْمُنْتِجُ قَوِيّ.[٣١]

- أَنَّ مَحْقَ الرِّبَا حَاصِلٌ لا مَحَالَة، وَكَذَلِكَ الثَّوَابُ فِي الصَّدَقَةِ أَضْعَافًا كَثِيرَة، وَلَكِنْ لِمَاذَا لَمْ يَأْتِ

[٣١] تفسير الدكتور محمد راتب النابلسي ج١ ص٦١٠.

الثَّوَابُ والعِقَابُ مُعَجَّلًا؟ لَوْ كَانَ صَاحِبُ الرِّبَا يَأْتِيهِ الْمَحْقُ عَاجِلًا وَلَوْ كَانَ كُلُّ مُذْنِبٍ تَأْتِيهِ العُقُوبَةُ عَاجِلًا لَكَانَ كُلُّ النَّاسِ سَوفَ يَبْتَعِدُونَ عَن الرِّبَا وعَنْ سَائِرِ الذُّنُوب، وَلَوْ كَانَ الْمُتَصَدِّقُ وَكُلُّ مُطِيعٍ للهِ يَأْتِيهِ الثَّوَابُ سَرِيعًا لَسَارَعَ النَّاسُ إلى الصَّدَقَة، وبِهَذَا يَكُونُ تَرْكُ الرِّبَا وتَرْكُ أَيِّ ذَنْبٍ لَيْسَ للهِ، وَلَكِنْ خَوْفًا مِن العُقُوبَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ العَاجِلَة، ولَكَانَ الْمُتَصَدِّقُ وَفَاعِلُ أَيِّ خَيْرٍ لَيْسَ للهِ، وَلَكِنْ طَمَعًا في الثَّوَابِ العَاجِلِ في الدُّنْيَا، واللهُ يُرِيدُ لَنَا الآخِرَة، تَخَيَّلْ إِنْسَانًا أَكَلَ الرِّبَا وفي اليَومِ التَّالِي تَلَفَ مَالُه، هَلْ تَرَاهُ يَعُود؟ وهَكَذَا كُلُّ ذَنْب، وَلَوْ تَخَيَّلْتَ إِنْسَانًا كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِمِائَةِ رِيَالٍ رَبِحَ في اليَومِ التَّالِي سَبْعَ مِائَةٍ وهَكَذَا دَائِمًا، هَلْ تَرَاهُ يَتْرُكُ الصَّدَقَة؟ لا، بَلْ تَرَى جَمِيعَ النَّاسِ يُسَارِعُونَ إلى الصَّدَقَة، ولَكِنْ لَيْسَتْ للهِ.

الْخَاتِمَة

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي بِنَعْمَتِهِ وَعَوْنِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَات، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى خَاتَمِ الْمُرْسَلِين، مُحَمَّدٍ الأَمِينِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الطَّاهِرِين، أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَى كِتَابُ (الرِّبَا.. مَزَالِقُ وَمَخَاطِر) أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى الكَرِيمَ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ الْمُسْلِمِين، وَأَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ الثَّوَابَ يَوْمَ القِيَامَةِ لِكُلِّ مَنْ أَسْهَمَ فِي إِعْدَادِهِ أَوْ طِبَاعَتِهِ أَوْ مُرَاجَعَتِهِ أَوْ تَوْزِيعِه، آمِين!

إِعْدَاد: سَعِيدُ بْنُ مَطَرِ بْنِ سَعِيدٍ الْمَسْقَرِيّ (أَبُو مُعَاذ)

الْحَادِي

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ، يَا مَن اتَّقَيْتَ اللهَ -جَلَّ جَلالُه- في أَوَامِرِه ونَوَاهِيه، أَسْأَلُ اللهَ تَعَالى لي وَلَك الفَلاحَ يَومَ القِيَامَة، تَخَيَّلْ نفْسَك وأَنْتَ على فِرَاشِ الموتِ تَتَنَزَّلُ عَليكَ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ يُبَشِّرُونَك بالجنَّةِ لِتَطْمَئِنّ، قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ٣٠ ﴾[٣٢]، تَخَيَّلْ كَيْفَ تَكُونُ مَسْرُورًا في ذَلكَ الوقْت، سَوفَ تَنْسَى جَمِيعَ مَصَائِبِ الدُّنْيَا وأَحْزَانِها وكَأَنَّكَ دَخَلْتَ الجنَّة، لأَنَّ هَذِه البُشْرَى لا تَتَبَدَّل؛ فَعَلينا أَنْ نَبْحَثَ عَن الطَّرِيقِ الَّتِي تُوصِلُنَا إلى هَذِه البُشْرَى وإلى جَنَّاتِ الْخُلُود، ونَعُوذُ بِاللهِ مْن البُشْرَى بِالنَّار.

ثُمَّ تَخَيَّلْ نَفْسَك وأَنْتَ في القَبْرِ تُبَشَّرُ بِالجنَّة، تَأْتِيك هَذِه البُشْرَى ثَلاثَ مَرات، قَالَ القُطْبُ: عِنْدَ الموتِ وفي القَبْرِ وعِنْدَ البَعْثِ يُبَشِّرُونَهُم بِرِضَاءِ اللهِ تَعَالى والجنَّة.[٣٣] تَخَيَّلْ

---

[٣٢] سورة فصلت، الآية ٣٠.

[٣٣] تيسير التفسير، ج١٢، ص٤٢٦-٤٢٧.

نفْسَك وأَنْتَ مُرْتَاحٌ في القَبر، وكَثِيرٌ مِن النَّاسِ يُعَذَّبُونَ في قُبُورِهِم، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ القَبر، اعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَكُنْ بَينَ الخَوفِ والرَّجَاء.

تَخَيَّلْ نفْسَك وأَنْتَ تَأْخُذُ كِتَابَ أَعْمَالِكَ بِيَمِينِك، حِينَئِذٍ أَنْتَ فَرِحٌ مَسْرُور، قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا (٩)﴾[٣٤]، وَكَيْفَ لا يَكُونُ مَسْرُورًا وَقَدْ نَجَحَ في الاخْتِبَار. أَخِي، لَوْ أُعْطِيتَ الدُّنْيا ومَا فِيهَا بَدَلَ ذَلِكَ الكِتَاب، هَلْ تُوَافِق؟ لا، وهَذَا يَعْنِي أَنَّ كِتَابَ أَعْمَالِك خَيرٌ مِن الدُّنْيَا.

هَا أَنْتَ الآنَ جِئْتَ إلى الجنَّةِ وقَدْ فُتِحَتْ أَبْوابُها، هَا هُمُ الملائِكَةُ الكِرَامُ يُسَلِّمُونَ عَلَيكَ، وكَثِيرٌ مِن النَّاسِ تَتَلَقَّاهُم العَقَارِبُ ومَلائِكَةُ العَذَاب، فَمَاذَا يُسَاوِي عَمَلُك مَعَ ذَلِكَ النَّعِيمِ الخَالِد؟ تَأَمَّلْ قُصُورَك في الجنَّة، إِنَّها تَجْرِي مِنْ تحتِها الأنهارُ وليسَ المجَارِي، إِنَّها أنهارُ الماءِ وأَنهارُ العَسَلِ

[٣٤] سورة الانشقاق، الآيات ٧-٩.

وأَنهارُ اللَّبَنِ وأَنهارُ الخَمْر، ولا شَيْءَ هُنَاك يَخْرَبُ أَوْ يَتَعَفَّن.

إِنَّكَ هُنَاكَ لا تَحْتَاجُ إِلى ثَلَّاجَةٍ ولا مُكَيِّف، ولا تَحْتَاجُ إِلى سُوق؛ فَجَمِيعُ حَاجَاتِك مَوْجُودَة، إِنَّ هُنَاكَ فَاكَهَةً لا مَقْطُوعَةً ولا مَمْنُوعَة، فَقَدْ جَاوَزْتَ الفَاكِهَةَ الَّتِي تَنْقَطِعُ أَحْيَانًا، إِنَّكَ هَنَاكَ لا تَحْتَاجُ إِلى مُسْتَشْفَى، إِنَّكَ هُنَاكَ لا تَحْتَاجُ إِلى مَحْكَمَةٍ أَو شُرْطَة؛ فَلَيسَ بَينَ النَّاسِ مَشَاكِل، إِنَّ زَوْجَاتِكَ في الجنَّةِ في قِمَّةِ الجَمَال، أَنْتَ مَهْمَا تَخَيَّلْتَ جَمَالَ الحُورِ العِينِ، فَهِيَ فَوقَ مَا تَتَخَيَّل، وكَذَلِكَ بَنَاتُ حَوَاء.

أَنْتَ هُنَاكَ لا تَسْمَعُ عَنْ طَلَاق، وزَوْجَاتُكَ هُنَاكَ طَاهِرَاتٌ حِسِّيًّا ومَعْنَوِيًّا، فَلَيسَ هُنَالِكَ حَيْضٌ أَوْ نِفَاسٌ وَلا بَوْلٌ ولا غَائِط، قَارِنْ بَينَ نِسَاءِ الجنَّةِ ونِسَاءِ الدُّنْيا، أَنْتَ هُنَاكَ لا تَحْتَاجُ إِلى صَابُون، أَنْتَ هُنَاكَ لا تَخَافُ مَرَضًا ولا مَوْتًا، ولا يُصِيبُكَ أَيُّ مَكْرُوه، أَلا تَسْتَحِقُّ تِلْكَ الحيَاةُ أَنْ نَتْعَبَ مِنْ أَجْلِهَا؟ وَاللهِ لَوْ تَعِبْتَ طُولَ حَيَاتِكَ مِنْ أَجْلِ الجنَّةِ لا تَعْرِفُ طَعْمَ الرَّاحَة، ثُمَّ ذَهَبْتَ إِلى الجنَّة، فَسَوفَ تَنْسَى كُلَّ تَعِبٍ كَانَ عِنْدَكَ في الدُّنْيَا.

تَخَيَّلْ نَفْسَكَ وأَنْتَ تَتَمَشَّى في رِيَاضِ الجنَّةِ بَينَ بَسَاتِينِك، وكَثِيرٌ مِن النَّاسِ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ في النَّار، أَنْتَ هُنَاكَ لا تَحْتَاجُ إِلى سَيَّارَاتٍ أَو طَائِرَات، بَلْ تَطِيرُ مَتَى شِئْتَ وتَسِيرُ مَتَى شِئْت، أَنْتَ هُنَاكَ طُولُكَ سِتُونَ ذِرَاعًا -مَا شَاءَ الله!- أَنْتَ هُنَاكَ عِمْلاق.

بَادِرْ –أَخِي- بِالأَعْمالِ الصَّالحة، فَإِنَّها الطَّرِيقُ الوَحِيدُ إِلى الجنَّة، وإِنَّ الآخِرَةَ قَادِمَة، ولا نَعْرِفُ مَتَى الرَّحِيلُ مِنَ الدُّنْيَا، وإِنْ شِئْتَ الحيَاةَ الطَّيِّبَةَ يَومَ القِيَامَةِ فَلا بُدَّ مِن الصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللهِ ومُخَالَفَةِ النَّفْس. إِنَّ مُخَالَفَةَ النَّفْسِ هُو الطَّرِيقُ الوَحِيدُ إِلى جَنَّاتِ الخلُودِ وإِلى رِضَاءِ اللهِ تَعَالى أَوَّلًا، قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ(٤١)﴾[٣٥].

فَلا تَطْمَعْ في جِنَّاتِ الخلُودِ مِنْ غَيرِ مُخَالَفَةِ النَّفْس، فَقَدْ تَجِدُ نَفْسَكَ تَتَقَاعَسُ عَنْ أَدَاءِ شَيْءٍ مِنْ أَوَامِرِ اللهِ تَعَالى فَخَالِفْهَا، وَقَدْ تَجْدُهَا تَرْغَبُ في شَيْءٍ حَرَّمَهُ الله، وَقَدْ تَجْدُهَا تُحِبُ الرَّاحَةَ فَتُقَصِّرُ في طَاعَةِ الله، وَقَدْ تَجْدُهَا

[٣٥] سورة النازعات، الآيات ٤٠ – ٤١.

تُحِبُ الفُضُولَ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا وَكَثْرَةِ الكَلام، وَقَدْ تَجِدُهَا تُحِبُ تَضْيِيعَ الوَقْتِ في غَيرِ فَائِدَة، فَخَالِفْهَا.

الْمُهِمُّ، اجْعَلْ قَلْبَكَ وقَالَبَكَ مَعَ اللهِ تَعَالى، فَإِذَا رَأَيْتَ النَّفْسَ انْحَرَفَتْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ارْجِعْهَا إِلى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيم، فَإِنْ أَبَتْ فَعَاقِبْهَا بِكَثْرَةِ النَّوَافِلِ وكَثْرَةِ ذِكْرِ اللهِ تَعَالى، قَالَ الإِمَامُ نُورُ الدِّينِ السَّالِمِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-:

فَإِنْ أَبَتْ عَاقِبَهَا بِالصَّـــــوْمِ

وَتَرْكِ مَا تَهْوَاهُ مِثْلَ النَّوْمِ

وَطَلَبَ الْعَـــــوْنَ عَلَى تَذْلِيلِهَا

فَإِنَّمَا الْهَلَاكُ فِي تَجْلِيلِهَا[٣٦]

فَأَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلى مُخَالَفَةِ النَّفْسِ في كُلِّ يَوْم، بَلْ في كُلِّ سَاعَة، خَالِفْ عَادَاتِ النَّفْسِ الَّتِي لا تَنْفَعُكَ في الآخِرَة،

---

[٣٦] خاتمة مدارج الكمال، الإمام نور الدين السالمي، ص١٦٨. خَاتمةٌ سَلِسَةٌ جِلِيلَةٌ حَوَت الكَثِيرَ مِن الأَخْلاقِ والقِيَمِ والْمَبَادِئ، وغَطَّتْ جَانِبًا طَيِّبًا في تَزْكِيَةِ النَّفْسِ والارْتِقَاءِ بِهَا، وعِلاجِ أَمْرَاضِهَا وأَدْوَائِهَا، وقَدْ شَرَحَهَا شَرْحًا مُبَسَّطًا جَمِيلا الأُسْتَاذُ يُوسُفُ بْنُ سَالِمٍ السِّيَابِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-.

فَلا سَعَادَةَ إِلَّا بِذَلِك، أَذِبْهَا وَاحْبِسْهَا فِيمَا تَكْرَهُ مِنْ طَاعَةِ اللهِ تَعَالى، سُقْ هَذِهِ النَّفْسَ وَهِيَ رَاغِمَةٌ إِلى بَابِ اللهِ تَعَالى، وَلا تَرْجُو رَاحَةً يَومَ القِيَامَةِ مِنْ غَيْرِ حَبْسِهَا عَلَى بَابِ رَبِّهَا، وَإِذَا بَذَلْتَ قَلْبَكَ وَقَالَبَكَ لَربِّكَ صَادَفْتَ مَغْنَمًا عَظِيمًا، وَفَوْزًا فَوْقَ مَا تَتَصَوَّر.

تَلَفَّتْ لِهَذِهِ النَّفْسِ ورَغَبَاتِهَا، فَقَدْ تَرَاهَا تَرْغَبُ في طَاعَةٍ لا تَفُوتُ لِتُفَوِّتَ عَلَيْكَ طَاعَةً تَفُوتُ لَهَا وَقْتٌ مُحَدَّد، وَقَدْ تَرْغَبُ في طَاعَةٍ لِتُفَوِّتَ عَلَيْكَ أَهَمَّ مِنْهَا، وقَدْ تَرْغَبُ في العِبَادَةِ الخَاصَّةِ بِكَ -مِثَلِ الصَّلاة- وتَقُولُ لَك: "اتْرُك الدَّعْوَةَ إِلى اللهِ تَعَالى، لا شَأْنَ لَكَ بِهَا"، عَلَيكَ بها، انْحَرْهَا بِالْمُخَالَفَةِ وإِنْ صَاحَتْ وقَالَتْ: يَا وَيْلِي لَقَدْ عَذَّبْتَنِي، فَإِنَّ بَذْلَها للهِ تَعَالى صُوْنٌ لَهَا، وإِنْ لَمْ تَبْذُلْها للهِ فَإِنَّ آخِرَ حَيَاتِها الْمَوتُ، إِذْ لا فَائِدَةَ في حَيَاةِ النَّارِ وَهُمْ يَتَمَنَّوْنَ الْمَوْت. قَالَ العَلَّامَةُ الشَّاعِرُ أَبُو مُسْلِمٍ نَاصِرٌ بْنُ سَالِمٍ بْنِ عُدَيِّمٍ البَهْلانِيُّ:[٣٧]

[٣٧] النَفَس الرحماني، ص٣٠٤، الشيخ العلامة ناصر بن سالم البهلاني.

تَعَنَّ وَلَا تَستَبْقِ لِلنَّفْسِ عَـــادَةً
أَتَلْقَى إِذَا لَمْ تَشْقَ فِيهِ سَعَادَةً
أَذِبْهَا وَأَصْـــبِرْهَا وَسُقْهَا مُقَادَةً

فَلَا رَاحَةٌ تُرْجَى لِمَنْ رَامَ رَاحَـــةً

وَمَهْمَا بَذَلْتَ الرُّوحَ صَادَفْتَ مَغْنَمَا

تَلَفَّتْ لَهَا مِنْ حَيْثُ وَلَّتْ وَأَقْبَلَتْ

فَإِنَّ لَهَا كَيْدًا وَإِنْ هِيَ أَجْمَلَتْ

عَلَيْكَ بِهَا انْحَرْهَا وَإِنْ هِيَ وَلْوَلَتْ
فَفِي بَذْلِهَا صَوْنٌ لَهَا إِنْ تَقَبَّلَتْ

وَإِلَّا فَقَدْ سِيقَتْ إِلَى ذَلِكَ الْحِمَى

فَإِنْ هِيَ عَمَّا يُوجِبُ الْبُعْدَ أَعْرَضَتْ
وَسَلَّمَتِ الْأَطْوَارَ فِيهِ وَفَوَّضَتْ
وَشَدَّتْ بِعَزْمٍ فِي السُّلُوكِ وَقَوَّضَتْ
هَنِيئًا لَهَا فَخْرًا بِمَا قَدْ تَعَرَّضَتْ
لِذَاكَ الْحِمَى لَوْ كَانَ مَطْلَبُهَا احْتَمَى

ذَرِ الْكَوْنَ فِي أَثْوَابِهِ يَتَغَوَّلُ

يَرُوقُ لَوَهْنِ الرَّأْيِ حُسْنًا وَيَجْمُلُ

فَمَالَكَ دُونَ الْحَقِّ فِيهِ مُعَوِّلُ

وَإِنْ أَمَّ أَبْوَابَ الْمُلُـــــوكِ مُؤَمِّلُ

فَيَمِّمْ إِلَى أَبْوَابِهِ مُتَقَدِّمَا

كَرِيمٌ لِضَرَّاءِ الْفَقِيرِ مُرَاقِبُ

لَطِيفٌ إِذَا ضَاقَتْ بِعَبْدٍ كَوَارِبُ

لَهُ فِي الْقَضَايَا نَظْرَةٌ وَمَوَاهِبُ

فَأَبْوَابُهُ فَتْحٌ وَمَا ثَمَّ حَـــاجِبُ

وَأَفْضَالُهُ شَرْحٌ وَمَا ثَمَّ مُحْتَمَى

تَخَلَّى لِرَبِّي ظَاهِرِي وَالَّذِي بَطَنْ

وَخَلَّيْتُهُمْ وَالْكَـوْنَ وَالْأَهْلَ وَالْوَطَنْ

كَفَانِيَ عَنْ زَيْدٍ وَعَمْرٍو وَعَنْ وَعَنْ

لِأَبْوَابِهِ مَا عِشْتُ أَغْشَى وَلَمْ أَكُنْ

لِأَخْشَى رَقِيبًا أَوْ عَذُولًا مُلَوِّمَا

هَمَسَات

- احْذَرْ كُلَّ شَيْءٍ يَشْغَلُكَ عَنِ اللهِ تَعَالَى.
- مَنْ شَغَلَهُ طَلَبُ الدُّنْيَا عَنِ الْآخِرَةِ ذَلّ.
- الْقُلُوبُ جَوَّالَة، إِمَّا أَنْ تَجُولَ فِي طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى، وَإِمَّا أَنْ تَجُولَ فِي هَوَى النَّفْس.
- مُرَاقَبَةُ خَطَرَاتِ الْقَلْبِ سَبَبٌ لِصَلَاحِ الْجَوَارِح.
- إِنَّ الطَّاعَاتِ الَّتِي تُورِثُ عُجْبًا هِيَ شَرٌّ وَلَيْسَتْ خَيْرًا.
- إِذَا سَكَنَ حُبُّ الدُّنْيَا فِي الْقَلْبِ تَرَحَّلَتْ مِنْهُ الْآخِرَة.
- مَنْ عَرَفَ مَا يَطْلُبُ هَانَ عَلَيْهِ مَا يَبْذُل.

دُعَـــاء

سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِه (ثَلاثًا)، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ رِضَا نَفْسِه (ثَلاثًا) سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مِدَادَ كَلِمَاتِه (ثَلاثًا) سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ زِنَةَ عَرْشِه (ثَلاثًا) اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِه، أَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي وَأَتُوبُ إِلَيْك (ثَلاثًا).

إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ، عُبَيْدُكَ الْمِسْكِينُ الْعَاصِي بِبَابِك، مَا لِي غَيْرُك، أَنَا الْغَرِيقُ فِي نِعَمِكَ الَّتِي لَا أُحْصِيهَا وَلَا أَسْتَحِقُّ أَقَلَّهَا، إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ، عُبَيْدُكَ الْمِسْكِينُ الْعَاصِي بِبَابِك، مَا لِي غَيْرُك، زَكِّ نَفْسِي وَآتِهَا تَقْوَاهَا؛ أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَام.

إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ، عُبَيْدُكَ الْمِسْكِينُ الْعَاصِي بِبَابِك، مَا لِي غَيْرُك، أَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَام.

إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ، عُبَيْدُكَ الْمِسْكِينُ الْعَاصِي بِبَابِك، مَا لِي غَيْرُك، أَسْأَلُكَ تَوْبَةً صَادِقَةً أَثْبُتُ عَلَيْهَا حَتَّى الْمَمَات،

وَأَسْأَلُكَ حُسْنَ الْخَاتِمَةِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَام.

إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَاي، عُبَيْدُكَ الْمِسْكِينُ الْعَاصِي بِبَابِك، مَا لِي غَيْرُك، اغْفِرْ ذُنُوبِي وَارْحَمْنِي، وَحَبِّبْ إِلَيَّ الْإِيمَانَ وَكَرِّهْ إِلَيَّ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَان، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَام.

إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَاي، عُبَيْدُكَ الْمِسْكِينُ الْعَاصِي بِبَابِك، مَا لِي غَيْرُك، أَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ مَا يُبْعِدُنِي عَنْ طَاعَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَام.

إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَاي، عُبَيْدُكَ الْمِسْكِينُ الْعَاصِي بِبَابِك، مَا لِي غَيْرُك، قَلَّتْ حِيلَتِي، وَضَعُفَتْ قُوَّتِي، وَكَثُرَتْ ذُنُوبِي، فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِي وَالدُّنْيَا وَالشَّيْطَانِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَام. اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِه.